

المستشرقون والحديث النبوي

د. علي شاوي مطوري (١)

جامعة شهيد جمران ، أهواز ، dr.ali.matori@gmail.com

م. م. عماد كاظم مانع (٢)

كلية الامام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية / أقسام ميسان

المقدمة:

ان دراسات المستشرقين الحديثية تعد من جملة دراساتهم، وان جاءت متأخرة عنها نسبيا لكنها كغيرها لم تخل من الدس والتشويش ولذلك نجح كثير منهم في العصور المتأخرة في التأثير على عقول بعض المسلمين، فانخدعوا بكتاباتهم ودراساتهم حول الإسلام، وهما منهم أنها قامت على الموضوعية والحياد والإنصاف والتجرد في البحث العلمي، ومن ثم اقتفوا آثارهم، ورددوا دعاوهم التي لم يقيموا عليها أي بيئة، بل زادوا عليها من أنفسهم، وكل هؤلاء وأولئك نفثوا سمومهم باسم البحث والمعرفة وحرية النقد، وهم أبعد ما يكون عن العلم الصحيح والبحث القويم والنقد النزيه .وبذلك جاءت كتابات هذا الفريق من تلامذة المستشرقين وأذئابهم حول الإسلام عموماً والحديث النبوي خصوصاً لا تقل - إن لم تكن قد فاقت - كتابات المستشرقين في إثارة الشبه والتشكيك في مصادر الشريعة الإسلامية، فكانت تلك الكتابات في حقيقتها ما هي إلا مرآة وصدى لروايات السلف ولأفكار المستشرقين التي تأثروا بها .وكان من هؤلاء الذين دعوا إلى ترك الحديث والاعتماد على القرآن الدكتور توفيق صدقي الذي كتب مقالين في مجلة المنار بعنوان " الإسلام هو القرآن وحده، ثم تلاه " أحمد أمين في كتابه " فجر الإسلام " الذي عقد فيه فصلاً خاصاً أتى فيه بأفكار وآراء حول الحديث، وهي لا تخرج في جملتها عن أفكار وآراء المستشرقين من غير أن ينسبها إليهم ، ثم تسلم الراية بعدهم محمود أبو رية الذي ألف كتابه " أضواء على السنة المحمدية "، فنشر فيه مزاعم واتهامات حول الحديث النبوي، وخلط بين ما قاله من سبقه من المستشرقين، ومن سار على منهجهم من المسلمين، فجاء كتابه مزيجاً من مختلف الآراء التي قيلت للتشكيك في الحديث النبوي ورجاله، وإظهار السنة بمظهر الاختلاف والتناقض والتحريف وكان غرضهم من ذلك التشكيك في الحديث النبوي كمصدر ثانٍ من مصادر التشريع الإسلامي، عن طريق الطعن في حجية السنة، وإثارة الشبه حولها حتى يترك العمل بها من قبل المسلمين ومن هذه الشبه التي ردها أذئاب المستشرقين قولهم : " لو كانت

السنة ضرورية لحفظها الله كما حفظ القرآن في قوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، ولأمر النبي (ص) بكتابتها كما أمر بكتابة القرآن وغيرها من الشبهات^(٣) .

١-١ الاستشراق في اللغة والاصطلاح:

الاستشراق لغة:

ان لفظة "استشراق" مصوغة على وزن استفعال، وهي مأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه وجاء في "المعجم الوسيط" "شرقت الشمس شرقاً وشرقاً إذا طلعت"^(٤) وفي لسان العرب: شرق: "شرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً: طلعت، واسم الموضع: المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرق ومغرب، وشرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق، وفي الحديث: " لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا"^(٥).

أما في اللغات الأوروبية فثمة تعريف آخر يدل على أن المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية. ويرى البعض أن كلمة استشراق لا ترتبط فقط بالشرق الجغرافي وإنما تعني أن الشرق هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء^(٦)

الاستشراق اصطلاحاً:

إن مفهوم الاستشراق ((orientalism يعني: "علم الشرق أو علم العالم الشرقي"^(٧) وعرف البعض الاستشراق أيضاً بأنه: "ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته"^(٨) وأحياناً يقصد به: "أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرفي والأيدلوجي بين الشرق والغرب". ومرة يراد به: "ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب"^(٩). ويرى الطيب بن إبراهيم أن الاستشراق لا يعد تاريخاً أو جغرافياً فقط، ولا إنسانياً أو ثقافة فحسب، وإنما هو مجموع ذلك كله، فهو مكان وزمان وإنسان وثقافة. والحديث عن الاستشراق مرتبط ارتباطاً عضوياً وتكاملياً مع هذه العناصر الأربعة الأساسية، إذ لا بد له من مسافة زمنية ومساحة مكانية ونوع إنساني وإنتاج ثقافي وفكري^(١٠) . ويرى أن الشرق الذي اهتم الغرب بدراسته والتخصص في ثقافته وتراثه، ليس هو الشرق الجغرافي الطبيعي، وإنما هو "الشرق الهوية" وهو محور ما استهدفه علم الاستشراق ومصدر العناية والاهتمام، فهدف الاستشراق هو معرفة "الشرق الهوية والتاريخ" المتمثل في الإسلام والمسلمين.

١-٢ الحديث لغة واصطلاحاً:

الحديث لغة: نقيض القديم^(١١). والحديث الجديد من الاشياء، والحديث الخبر يطلق على القليل والكثير والجمع احاديث كقطيع واقاطيع وهو شاذ على غير قياس وقد قالوا في جمعه حدثان وحدثان بكسر الحاء وضمها وهو قليل^(١٢).

اصطلاحاً: يمكن تعريفه على أنه كل ما أضيفَ إلى رسول الله (ص) من الأقوال والأفعال والأوصاف والمعاملات في الحياة^(١٣).

١-٣ أهميته:

يعد الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني في التشريع بعد القرآن الكريم، حيث يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم، وله أهمية لا تقل عن أهمية القرآن الكريم، وتكمن أهميته في أنه يقوم بتفسير وشرح معاني ودلالات الآيات القرآنية، فهناك العديد من الأحكام التي ترد في القرآن الكريم لا يستطيع المسلم فهم كيفية القيام بها، فيرجعون إلى الأحاديث والسنة النبوية الشريفة، من أجل الحصول على التفسير الواضح، كفرض الصلاة، ولم تذكر تفاصيل أخرى بخصوص السنن والفرائض والشروط الواجب القيام بها، وقد ذكرت كل هذه الأمور بشكل تفصيلي في الحديث النبوي الشريف، ومن خلال ذلك نستطيع الوصول إلى نتيجة، وهي أن القرآن الكريم والسنة والحديث النبوي الشريف يكمل كل منهما الآخر، فالقرآن يقوم بمهمة معينة ويأتي الحديث ليكمل هذه المهمة ويوضحها للمسلمين كافة، خاصة في الأمور التي تتعلق بحياتهم كما قال النبي الاكرم (ص): (إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)^(١٤). فالعبرة التي تمثل الامتداد الحقيقي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

١-٤ نشأة الاستشراق:

تعددت آراء الباحثين في تاريخ نشأة حركة الاستشراق، وذلك بناء على فهمهم لمدلول هذا المصطلح، ويمكن تلخيص أشهر تلك الآراء في الأقوال الخمسة الآتية:

القول الاول: يرى أصحاب هذا القول ربط نشأة الاستشراق ببعثة النبي.

القول الثاني: يؤرخ أصحاب هذا القول لبداية الاستشراق بتاريخ الفتوحات الإسلامية التي دقت أبواب أوروبا ووصلت إلى الاندلس في القرن الثامن الميلادي.

القول الثالث: يرجع المستشرق رودى بارت بداية الدراسات العربية الإسلامية في أوروبا إلى القرن الثاني عشر الميلادي، حيث شرع العلوم والمعارف.

القول الرابع: يحدد بداية الاستشراق بعام ٧١٢هـ / ١٣١٢م، أي بداية القرن الرابع عشر الميلادي، حيث قرر مجلس الكنسية في فيينا تأسيس كراسي جامعية لدراسة اللغات الشرقية، وبخاصة اللغة العربية والعبرية والسريانية، وذلك في الجامعات الأوربية الرئيسية آنذاك .

القول الخامس: يؤرخ مكسيم رودنسون لمولد الاستشراق بالقرن السادس عشر الميلادي، حيث ظهرت الحركة الإنسانية في محاولة للبحث عن ثقافة عالمية^(١٥).

١-٥ المستشرقون والسنة النبوية:

من جملة ما أولاه المستشرقون أهمية في دراساتهم الإسلامية (الحديث الشريف)، فقد كان هناك تركيز كبير على هذا الملف، وقد أثار المستشرقون العديد من الأفكار وقدموا الكثير من الأطروحات التي سرعان ما تركت أثراً على بعض الدراسات الإسلامية مخلفة وراءها مدرسة جديدة بدأت بالتكوّن في الداخل الإسلامي.

ومن أهم المستشرقين الذين اشتغلوا على الحديث النبوي:

أ. أجناس جولدتسيهر / (1850 Ignaz Goldziher . ١٩٢١م)

يعدّ المستشرق المجري المعروف أجناس جولدتسيهر من أشهر المستشرقين وأعمقهم، ولد في مدينة اشتولفيسنبرغ في بلاد المجر من أسرة يهودية على قدر كبير ومكانة مرموقة.

قضى سنّي حياته من الدراسية الأولى في بودابست، ثم ذهب إلى برلين عام ١٨٦٩م، حيث بقي فيها سنة، انتقل بعدها إلى جامعة ليبستك، حيث تتلمذ على يد المستشرق فليشر، وحاز هناك على شهادة الدكتوراه الأولى عام ١٨٧٠م، وخصّص رسالته حول أحد الشراح اليهود للتوراة في القرون الوسطى ألا وهو تنخوم أورشليمي.

لم يساهم جولدتسيهر في أيّ نشاط سياسي أو ديني أو اجتماعي أو تواصل، ولأجل ذلك امتاز عن العديد من المستشرقين بل غالبيتهم؛ لأنّ الكثير من المستشرقين كانوا يكتبون نتيجة تواصلهم مع الشرق وكانوا يكتبون عن حال الشرق في زمانهم، أما جولدتسيهر فكان منكباً على المصادر والكتب أكثر من اعتماده على طريقة الاتصال الحيّ المباشر. ومن هنا، ظهرت عند جولدتسيهر إسهامات هامة في دراسة الكتب والوثائق والتراث، فكان بحراً في جمع الوثائق والمعطيات وممارسة تحليل ظاهرات لها^(١٦). يمتاز جولدتسيهر بقراءته التاريخية للتراث الإسلامي، فهو يصرّ على الدوام على تفسير كلّ الأمور وفقاً لحراك تاريخي زمني، فالمذاهب عنده وليدة أوضاع زمنية، وتفسير القرآن وفهمه ليس سوى نتيجة للتجاذبات السياسية والاجتماعية التي عصفت بالمسلمين في القرون الأولى، والحديث النبوي ليس سوى صنعة للتيارات المتحاربة لمواجهة بعضها بعضاً، أما الفقه وعلوم الشريعة فيراها جولدتسيهر أبسط بكثير في أصل الدين الإسلامي مما صارت عليه بعد ذلك، إذ يفسّر تطوّر الفقه بأنّه مجرد استجابة لتطوّر الأوضاع التي فاجأت العرب بعد الفتوحات فردموا الهوة بخلق قوانين منحت

شرعيتها بتغطية من نصوص دينية مختلفة برأيه. حاول جولدتسيهر في العديد من دراساته . وبحكم خبرته في التراث اليهودي . أن يقوم بملاحقة جذور بعض الأفكار الإسلامية في الموروث اليهودي، فنحن نجده مثلاً . كما في كتابه (العقيدة والشريعة) . يحيل في مواضع عدة أفكاراً أو أحكاماً أو عقائد عند المسلمين أو بعض فرقهم... يحيلها إلى جذر يهودي ولو على سبيل الإشارة، ويرجع ذلك إلى قدرة جولدتسيهر الكبيرة على القيام بمقارنات، حيث امتاز بعنصر المقارنة بين التيارات والديانات عموماً.^(١٧)

ب . جوزيف شاخت / Joseph Schacht(1902) . ١٩٦٩م

ولد المستشرق الألماني جوزيف شاخت في ١٥/٣/١٩٠٢م، في راتيبور في ألمانيا، ودرس هناك علوم اللاهوت والفيلولوجيا الكلاسيكية، واللغات الشرقية، وذلك في جامعتي برسلاو وليبيتسك، وفي عام ١٩٢٥ عيّن . بعد أن حصل على الدكتوراه في التأهيل . للتدريس في جامعة فرايبورغ، لينتقل عام ١٩٣٢ إلى جامعة كينجسبرغ. كتب دراسات في الفقه الإسلامي، وكان هذا أبرز مجال عرف شاخت به، ومن أهم أعماله في هذا المضمار كتابه الأهم «بداية الفقه الإسلامي» الذي طبع في ٣٥٠ صفحة عام ١٩٥٠، ودرس فيه بالدرجة الأولى مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ)، محلاً رسالة الشافعي في علم أصول الفقه وغيرها^(١٨).

ج . الأمير ليوني كايثاني Leone Caetane (1869) . ١٩٢٦م

واحد من أبرز المستشرقين الإيطاليين، ولد في روما في ١٢/٩/١٨٦٩ وعاش فيها، وتعلّم في جامعاتها، وكان أميراً من أسرة كايثاني، وهي أسرة من كبار الأمراء في إيطاليا الحديثة. كان يتقن عدة لغات بلغت السبع، منها: العربية والفارسية، وقد عمل سفيراً لإيطاليا في الولايات المتحدة الأمريكية. زار كايثاني الكثير من البلدان الشرقية، مثل الهند ومصر وإيران ولبنان وسوريا، وزار شبه جزيرة سينا، وكتب عنها كتاباً خاصاً سمّاه «في صحراء سينا»، وذلك عام ١٨٨١م. أنفق كثيراً من أمواله على البعثات العلمية لدراسة الشرق، وجّهز على نفقته الخاصة ثلاث بعثات لترتاد مناطق الفتح الإسلامي وترسمها جغرافياً، وجمع كلّ المعلومات المتصلة بحركة الفتح في اللغات القديمة.. وقد دفع كلّ أمواله في هذا السبيل حتى أفلس تماماً^(١٩).

من أهم أعماله ما كتبه مطلع القرن العشرين، تحت عنوان (حوليات الإسلام)، نظم كايثاني كتابه على طريقة تاريخ الطبري، وهو التاريخ الحولي، ومن بعض أبحاث هذا الكتاب أخرج كايثاني كتاباً آخر تحت عنوان «دراسات في التاريخ الشرقي» تحدّث فيه عن الإسلام والمسيحية / الجزيرة العربية قبل الإسلام / العرب القدماء / سيرة محمد نبياً ورجل دولة / بداية الخلافة / فتح الجزيرة العربية. بعد كتاب (حوليات الإسلام) كتب كايثاني «التاريخ الإسلامي» وهو مختصر عن مشروعه الأم. تمتاز دراسات كيتاني للسيرة النبوية والإسلامية بنزعة نقدية شديدة؛ إذ تسيطر عليه ظاهرة الشك المفرط في كلّ حقائق التاريخ الإسلامي، فقد أهمل بشدة الجانب الديني بوصفه محرّكاً تاريخياً، وركّز على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والجغرافية^(٢٠).

د . جورجيو ليفي دلافيدا / 1886) Giorgio Livi Della Vida ١٩٦٧م

مستشرق إيطالي ولد في ٢٢ آب (أغسطس) ١٨٨٦م، من أسرة يهودية أكمل دراسته الثانوية في جنوة، ثم انتقل إلى روما للجامعة، وانتسب لكلية الآداب، وحصل على ما يعادل الليسانس عام ١٩٠٩. عمل بالدراسات العربية الإسلامية، وكان من ثمراتها ما كتبه نتيجة تعاونه مع كايثاني، وحمل عنوان (خلافة عليّ وفقاً لكتاب أنساب الأشراف للبلاذري)، والذي ظهر عام ١٩١٥م^(٢١).

هـ . جيمس روبسون / J. Robson:

مستشرق إنجليزي تخرّج باللغات الشرقية من جامعة جلاسجو.

ترك عشرات الأعمال العلمية منها: آلات الطرب العربية القديمة، المدخل إلى علم الحديث، الإعجاز في القرآن، الإسناد في الحديث عند المسلمين، هل تكلم الكتاب المقدس عن النبي محمد؟ المسيح في الإسلام، موادّ الحديث، الأساس الثاني في الإسلام (الحديث)، الغزالي والسنة، فهرس المخطوطات الشرقية في جامعة جلاسجو.^(٢٢)

٢-١ الحديث عند المسلمين بين نقد السند ونقد المتن:

أقر المستشرقون بأن المسلمين منذ القرن الثاني الهجري اهتموا بالسند اهتماماً عظيماً، لكنهم يقولون بأنهم بالغوا في هذا الأمر حتى غفلوا عن معيار بالغ الأهمية في تحليل الحديث الشريف، وهذا المعيار هو نقد المتن. حيث يذهب غاستون وايت، وجوينبيل، وكايثاني، وألفرد جيوم، وجولدتسيهر، وشاخت، والسير وليام مور، وشبرنجر، وغيرهم.. إلى أنّ تحليل متون الروايات ومقاربتها وممارسة نقد عقلي وتاريخي ولغوي لها كان بإمكانه أن يقدم للحديث الكثير من العقلانية، إلا أنّ المسلمين غفلوا عن هذا الأمر وقصروا نظرهم على السند، فإذا صحّ السند لم يجرؤ أحد على مناقشة المضمون، وبهذا كانت الذهنية الأيديولوجية والاستلاب الفكري مهيمنان على طريقة التعامل مع النصوص^(٢٣).

ويعتقد المستشرقون أن غياب نقد المتن سمح للأحاديث النبوية المصطنعة بالحضور في الساحة الإسلامية وغيب النهج العقلاني في التعامل معها، وهذا ما أوقع العقل الإسلامي في استلاب فكري وتهاوي معرفي، فلو أنهم مارسوا نقد المتن لما سيطرت عليهم نصوص خرافية غير عقلانية، وقابلة للنقد، وحكمت حياتهم بطريقة غير متوازنة. لقد كان لغياب نقد المتن تأثير كبير على ضмор العقلانية الإسلامية وظهور التيارات الحرفية في فهم نصوص الدين، والقضاء على الذهنية التاريخية في فهم الأحداث والوقائع. فعندما كان المسلمون يواجهون حديثاً صحيح الإسناد من وجهة نظرهم لم يكونوا يعملون العقل في نقده وتحليله، ولم يكونوا يعالجون النصوص بطريقة المحلل التاريخي النقّاد، فكلّ فرقة كانت تتعامل مع نصوصها الصحيحة السند بطريقة تقديسية ترى عقلها معها عاجزاً عن أن يناقش مضمون هذه النصوص بطريقة عقلانية، وإذا ما مورس نقد المتن العقلاني

فإنما يمارس مع الخصوم المذهبيين، حيث تنتقد كل فرقة روايات الفرقة الأخرى وتكشف لها عن عيوبها وتناقضها وثغراتها على مستوى المتن.

وخلاصة القول: لقد اعتبر المستشرقون غياب ظاهرة نقد المتن ثغرة كبيرة عطّلت قدرة العقل الإسلامي على محاكمة هذه الروايات غير اليقينية.

٢-٢ نشأة علم الحديث:

اهتمّ المستشرقون بظاهرة تدوين الحديث، وكانوا ميّالين أكثر للقول بأنّ الحديث بدأ تدوينه في منتصف القرن الثاني الهجري فما بعد، وأنّ الفترة السابقة على هذه لم تشهد أيّ تدوين حقيقي للسنة، وإنما اعتمدت إما على اختراع الأحاديث بدوّاً أو على تناقلها الشفوي.

ويذهب موير (W.Muir) صريحاً إلى أنه لا توجد أيّ مجموعات كتابية للسنة يمكن التأكّد منها قبل منتصف القرن الثاني الهجري^(٢٤). بل يستمرّ جولدتسيهر في هذا الأمر فيرى أنّ الكتب والرسائل التي زعم المسلمون أنها كتبت في القرن الهجري الأوّل كلّها مفتعلة، تمّ ذلك فيها في القرون اللاحقة، وأنّ الروايات الواردة في تدوين السنة وكتابتها كلّها موضوعة لم تصدر عن أحد في القرن الهجري الأوّل^(٢٥). حيث تبدو معالم خطورة عدم وجود تدوين في قرن ونصف تقريباً بعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عندما نعرف أنّ التناقل الشفوي للمعرفة يظلّ محفوظاً بالكثير من الأخطار من حيث الوضع والدس وانعدام الوثائق المثبتة، فما دام التدوين غير موجود إذاً فبالإمكان اختلاق أيّ حديث سنداً وممتناً ونسبته إلى شفاه هذا الصحابي أو ذاك بعد أن كان قد توفي، ولا يستطيع أحد التأكّد من صحّة ما أقول أو كذبه!! إنّ القرن الهجري الأوّل . بحسب التصوير الاستشراقي . قرن مظلم معتم من الصعب العثور فيه على وثائق مؤكّدة، فكّله منقولات شفوية، والفصل بقرن عن عصر النبي كفيل بوضع علامة استفهام كبيرة على الأحاديث الموجودة اليوم في أيدي المسلمين^(٢٦).

٣-٢ المرتكزات المنهجية الخاطئة لدراسات المستشرقين في علم الحديث:

هناك اخطاء ارتكز عليها المستشرقون في دراسة علم الحديث، والتي يمكن الوقوف عليها من خلال تتبع دراساتهم وأبحاثهم حول هذا العلم، والاطلاع على بعض الدراسات النقدية لأعمالهم.

أولاً: التعصب وعدم الموضوعية.

ولعل الدافع إلى الوقوع في هذا الخطأ المنهجي يتمثل في أمرين:

١ - الشعور بالخوف من انتشار الإسلام، ونجد التعبير عن هذا الشعور في ثنايا كتابات بعض المستشرقين.

٢- اتخاذ موقف عدائي ضد الإسلام، حيث نجد في كلام بعض المستشرقين وصف الإسلام بالعدو، ووصف العلاقة بين الإسلام والنصرانية بأنها علاقة عدائية.

وقد أدى هذا التحامل على الإسلام والبعد عن الموضوعية في دراسات المستشرقين إلى الخروج بنتائج وأحكام مجانية للحق والصواب، ومن ذلك ما يلي:

أ- الاتهامات التي حاول المستشرقون من خلالها تشويه صورة الإسلام ورسوله وكتابه ومعتقديه.

ب- التعاطف في دراستهم للسيرة النبوية مع العناصر المضادة للإسلام، وبخاصة اليهود فقد شكك بعض المستشرقين في عدد من الروايات التي تتحدث عن غدر اليهود وخياناتهم^(٢٧).

ثانياً: المنهج المادي التاريخي:

لعل ابرز خطأ منهجي انحرف به دراسات المستشرقين في علم الحديث عن جادة الصواب هو اعتماد المنهج المادي التاريخي. واعتماد المنهج المادي التاريخي في دراسة السنة النبوية منزلق خطير ينبغي التنبيه له والتحذير منه. فالمستشرقون يفصلون بين الحديث والوحي، وينظرون إلى الحديث نظره مادية بحتة، وقد أدى بهم ذلك إلى نتائج لا يمكن التسليم بها في المنظور الإسلامي.

ثالثاً: تطبيق نظرية التطور على دراسة الأديان:

تظهر كتابات بعض المستشرقين في علم الحديث تأثيرهم بنظرية التطور المنسوبة إلى دارون، والتطور في علم الأحياء. وقد اعتمد الغربيون هذه النظرية في المناهج الدراسية بشكل عام، وعملوا على تطبيقها في مجال دراسة الأديان، وقد أفضى بهم ذلك إلى القول بأن الصيرورة والتحول سنة حتمية، فليس هناك شيء ثابت.

رابعاً: الانتقاء الكيفي وتجاهل الأدلة المضادة:

من الأخطاء المنهجية التي تزري بالبحث العلمي وتصرفه عن مساره الصحيح الانتقاء الكيفي للمعلومات والمصادر العلمية وتجاهل الأدلة المضادة المتعلقة بموضوع البحث.

خامساً: الاستقراء الناقص وتعميم نتائجه.

يعتمد المستشرقون أحياناً على الاستقراء الناقص لبعض جوانب القضية المطروحة للبحث من مصادر ومراجع منتقاة، ثم عموماً نتائج هذا الاستقراء وأصدروا الأحكام بناء عليها، وكأنها أحكام عامة توصلوا إليها بعد استقراء وتتبع تأمين، مع أنها في الحقيقة نتيجة استقراء ناقص لا يصلح دليلاً لإصدار الأحكام وتعميمها^(٢٨).

سادساً: الشك غير المنهجي والاعتماد على الاحتمالات.

يقابل هذا الشك شك غير منهجي مبني على الاحتمالات والأوهام، وليس له مبرر علمي مقبول، ويتمثل هذا النوع من الشك في الإفراط في الشك والالتهام لبعض المسلمات العقلية والحقائق العلمية. ويمكن التمثيل لاعتماد هذا المنهج بتشكيك جولد تسيهر في صحة الأحاديث الآتية:

زعمه أن حديث: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) من وضع الإمام الزهري الذي أوكل إليه عبد الملك بن مروان وضع هذا الحديث، من أجل تشريع الحج إلى بيت المقدس، وذلك خوفاً من اخذ عبد الله بن الزبير البيعة من أهل الشام الذين يحجون إلى بيت الله الحرام في مكة.

سابعاً: الاعتماد على المصادر غير الأصلية.

ومن الأخطاء المنهجية الرئيسية التي انحرفت بأبحاث المستشرقين عن جادة الصواب في دراساتهم للحديث النبوي خاصة والإسلام عامة، اعتمادهم في بعض الأحيان على المصادر غير الأصلية، التي لا تناسب موضوع البحث. واعتماد بعضهم على كتب الأدب أو الفقه في تخريج بعض الأحاديث^(٢٩).

٢-٤ الاحاديث التي استدل بها المستشرقون عن النهي في كتابة الحديث:

هناك ثلاثة احاديث مرفوعة الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تفيد النهي عن كتابة الحديث منها:

اولاً: حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيُمَحِّهِ، وَحَدِّثُوا عَنِّي، وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ - قَالَ هَمَّامٌ: أَحْسِبُهُ قَالَ - مُنْعَمًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ (٣٠) "

ثانياً: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، حَدَّثَنَا بِهِ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ، وَيَقُولُ: اِسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ اِسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ وَعَائِشَةُ تُصَلِّي، فَلَمَّا قَضَتْ صَلَاتَهَا، قَالَتْ لِعُرْوَةَ: أَلَا تَسْمَعُ إِلَى هَذَا وَمَقَالَتِهِ أَنْفًا؟ إِنَّمَا «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا، لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَخْصَاهُ»^(٣١).

ثالثاً: عن طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: ((استأذنا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكتابة فأبى أن يأذن لنا))^(٣٢).

الرد : ان هذه الروايات ضعيفة السند لوجود عبد الرحمن في الرواية الثالثة الذي اجمع العلماء على ضعفه، وكذلك الروايتين الأخريين من ناحية السند^(٣٣).

٢-٥ أهمية السند ومكانته عند الفريقين:

تعود أهمية السند الى أهمية الحديث ومكانته التشريعية التي تحتل المرتبة الثانية بعد كتاب الله تعالى، وبما ان السند من اهم الوسائل للحفاظ على الحديث والدفاع عنه من الوضع والافتراء كان طبيعيا ان يهرع اليه حماته ويتمسكوا به اذ هو المعيار الذي تقيم به الروايات ، والميزان الذي تعرض عليه ليميز الصحيح من السقيم والقوي من الضعيف^(٣٤). أما الشيعة الامامية فقد كانوا أدق من غيرهم في حفظ الحديث رغم الظروف الصعبة التي مروا بها لأرتباطهم الوثيق بأنمتهم (عليهم السلام) فهناك عدّة ضوابط أساسية عمل الإمام الصادق(عليه السلام) على تثبيتها في مضمار الحديث ليرجع إليها في تشخيص الصادر من أحاديث المعصومين (عليهم السلام) ومن ذلك:

١- ضوابط الصدور: نص الإمام الصادق (عليه السلام) في بعض أحاديثه على ضوابط كلية في تحديد الأحاديث الصادرة عنهم (عليهم السلام) ومنها عدم مخالفة الكتاب وسنة النبي (صلى الله عليه وآله) وأن ما كان مخالفاً لكتاب الله وسنة نبيه فهو غير صادر عنهم.

ففي الحديث عن هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: (لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة)^(٣٥).

وعن أيوب بن الحرّ، قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: (كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زُخرف)^(٣٦).

بالضبط هناك بحث دقيق في تعيين المراد من المخالفة وعلى نحو يرجع فيه إلى الأصول في بحث التعادل والتراجع.

٢- مُرجحات الراوي: فقد نصّ الإمام (عليه السلام) في بعض أحاديثه مُرجّحات الراوي عند تعارض الأحاديث والحيرة في معرفة أيها مُرجّح للعمل، فقال (عليه السلام): (الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما، ولا يُلتفت إلى ما يحكم به الآخر)^(٣٧).

٣- مُرجحات الرواية: من الضوابط الأساسية التي سلّط الإمام الصادق (عليه السلام) الأضواء عليها في تشخيص الحديث الصادر عنهم عمّا سواه من الأحاديث المجعولة هي مُرجحات الرواية ومنها:

أ- موافقة الكتاب: حيث ورد أكثر من حديث ينص على العمل بالحديث الموافق لكتاب الله وطرح المُخالف له ومن ذلك ما ورد في مقبولة عُمر بن حنظلة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: فإن كان الخبران عنكم مشهورين قد رواهما الثقات عنكم، قال: (ينظر فيما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة أخذ به)^(٣٨).

وفي وصحيفة هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق الكتاب والسنة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فإن المغيرة بن سعيد لعنه الله دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فانقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا) (٣٩).

وعن ابن أبي يعفور، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن اختلاف الحديث، يرويه من نثق به ومن لا نثق به؟ قال (عليه السلام): (إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله (عليه السلام) فخذوا به، وإلا فالذي جاءكم به أولى به) (٤٠).

ومن خلال ما تم ذكره نجد ان هناك اهتماما كبيرا في الحديث الشريف من ناحية السند والمتن وان الأدلة التي اعتمد عليها المستشرقون واهية ولا اساس لها من الصحة ، لكن ما يميز هذا النتاج وبشكل عام أنه اتسم بعدم الإنصاف، وعدم الدقة، وعدم الموضوعية بالتعامل البشري مع الحوادث والنصوص، ذلك بسبب اعتمادهم على التراث الحديثي السني الذي سيطرت عليه الأيديولوجيا السلطوية الحاكمة^(٤١) بما حوته من مرويات موضوعية، وأحاديث، وقصص محرفة، فكانت هذه الروايات المنطلق لجملة من المستشرقين الذين فرحوا بها، وأصبحت محركاً لهم للطعن والتشويه، وحجتهم في ذلك أنها من داخل المنظومة الإسلامية، فتمسكوا بها، بل وزادوا عليها بحسب ما يخدم مصالحهم وأهواءهم. نعم، إنهم وبدراستهم لمذهب التشيع كان هدفهم إبراز الهوية العميقة بين الفرق الإسلامية، وزيادة الشرخ الموجود بالأساس؛ لأن ذلك يخدم سياستهم الإستعمارية^(٤٢). لكن بعضهم درس مذهب التشيع بعد أن تيقن بأن هذه الفرقة الإسلامية قد تم إقصاؤها عن عمد، (إن هذا النفر منهم قد وصل إلى نتيجة مفادها ضرورة إقصاء المؤلفات السنية لكل من يريد التدوين التاريخي عن العقيدة الشيعية...) (٤٣). وعلى كل حال، فإن المؤلفات الاستشراقية لم تتصف الشيعة، ولم تكتب عنهم بمنهج علمي خالٍ من الأهواء، أو الميول، أو المؤثرات. في الوقت الذي يرفض أغلب المسلمين (سنة وشيعة) مناهج أغلب المستشرقين، وبالخصوص . طبعاً . الطاعنة في الدين الإسلامي (عقيدة وشريعة)، ويرفض الشيعة . على وجه الخصوص . كثيراً من الانتقادات التي وجهها المستشرقون إلى المذهب الشيعي . أن أغلب هذه الانتقادات جاءت من اعتمادهم على المصادر السنية فقط في فهم وقراءة الفكر الشيعي.

فمثلاً: في قضية الغدير، حيث ان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد نص على أن خليفته في المسلمين من بعده هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم غدير خم. رغم ذلك نجد أن (مارجليوث)^(٤٤) في كتاب (محمد وظهور الإسلام. ١٩٠٥م) يستبعد مثل هذه التوصية. كما ونجد (بروكلمان)^(٤٥) في كتاب (تاريخ المسلمين. ١٩٣٩م) يجري على نفس المنوال. وكذلك (جولدتسيه)^(٤٦) الذي أورد رواية غدير خم بصيغة التشكيك.

يمكن اعتبار القرن الثاني عشر الميلادي^(٤٧) . تقريباً . بداية معرفة أوروبا بالمذهب الشيعي كعقيدة وتنظيم سياسي، وذلك بالتزامن مع الحملات الصليبية زمن (الدولة الفاطمية)^(٤٨)، إلا أن الأخبار عن الشيعة صيغت

بكثير من الخلط والتعميم، وعدم الفهم العام، مع وجود التأثير الأيديولوجي السياسي على طبيعة تلك الكتابات. فمثلاً نجد أن (وليم الصوري)^(٤٩) والذي يعتبر أهم مؤرخي الحملات الصليبية في القرن الـ(١٢م) قد نسب إلى الشيعة الاعتقاد بأنّ علياً هو نبي الإسلام الحقيقي، لولا أنّ الملاك جبرائيل أخطأ وأوصل الرسالة إلى محمد^(٥٠). وسار على هذا النهج (يعقوب دي فيتري)^(٥١) الذي تسنم منصب مطران عكا فيما بين (١٢١٦ - ١٢٢٨م) والذي روج فيما كتبه من كتابات إلى أنّ علياً كان نبياً مرموقاً، تكلم إليه الله كتقدير تمييزي عن النبي محمد^(٥٢). وكذلك ما روجه المنصّر الشهير (ريكولدو ديمونتو كروس)^(٥٣) بأنّ الشيعة يعتقدون بأنّ محمداً اغتصب حقوق عليّ. واعتبر (ريكولدو) أن أتباع علي يحتفظون بقدر من اللطف، وأنهم أقل شيطنة من الأغلبية السنية. وكذلك أمثال دعوات (ريكولدو) المعادية الكثير، فقد تزامنت مع دعوات كثيرة على هذه الشاكلة المعادية للإسلام، نذكر من ذلك على سبيل المثال دعوات (رايمون لول)^(٥٤) و(بطرس بسكوال)^(٥٥). كما ونجد جملة من المستشرقين والكتاب الغربيين يعدون أن الأفكار الشيعية وبالخصوص بعض الفرق المحسوبة على الشيعة^(٥٦) انتحالا للأفكار الوثنية الإغريقية والفارسية القديمة.

إن الدبلوماسي الفرنسي (جوزيف آرثر غوبينو)^(٥٧) الذي خدم كدبلوماسي فرنسي في طهران بين (١٨٥٥) و(١٨٥٨م) قدم معلومات جديدة للغرب ليس فقط عن الانشقاق السني الشيعي، كما صوّره هو، بل عن الاتجاهين الرئيسيين بين علماء فارس: (الإخباريين) و(الأصوليين) أي منظومتي (النقل والعقل)، وهي فروقات أرجعها لأسباب اجتماعية، قبل أن تكون دينية بحسب مدعاه. كما وقد كتب (الفرد فون كريمر)^(٥٨) في عام (١٨٦٨م) عن التعصب المفرط للشيعة، وعدم تحملهم لغيرهم من أتباع الطائفة المحمدية. ويورد الأستاذ (مصطفى مطهري) تقييماً عاماً لدراسات المستشرقين حول الشيعة يورده سبع نقاطٍ مهمة هي^(٥٩):

١. طرح فرضيات من دوافع شخصية.
٢. عدم الإلمام بواقع فكر التشيع في المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية.
٣. الاعتماد على الدراسات التي أجريت سابقاً والاستناد إليها كفرضيات ثابتة دون ملاحظة صحتها أو سقمها.
٤. عدم الرجوع إلى المصادر المعتمدة في البحوث العلمية.
٥. عدم الاستناد إلى مصادر الشيعة الأصلية والمعتبرة، والاعتماد بشكلٍ أساسي على مصادر أهل السنة.
٦. إصدار أحكام مسبقة حول المعتقدات بقصدٍ أو بعدم قصد.
٧. هشاشة البحوث المطروحة في هذه الدراسات وعدم رصانة تفاصيلها.

٢-٦ أشهر الكتاب المسلمين المتأثرين بالمستشرقين:

لقد عرفت البلاد الإسلامية في العصر الحديث طائفة من المفكرين المستغربين، كانوا أبقا يرددون إفك المستشرقين والمبشرين، وضلالهم، وينفثون سمومهم الفكرية على أنها آراؤهم أنفسهم، زعموا أنهم توصلوا إليها بعد دراسة وبحث، ثم لم تلبث الأمور طويلاً، فإذا الحقيقة والواقع أنهم يجترون أباطيل ومفتريات أساتذتهم من المستشرقين والمبشرين.

اولاً: طه حسين:

ومن هؤلاء المستغربين "طه حسين" الذي كشف الباحثون والعلماء عن حقيقة آرائه التي نال بها من الإسلام وقرآنه وعظمائه وتاريخه، وأثبتوا أنها ترديد لأفكار أساتذته المستشرقين الماكين، من أمثال "مرجليوث"، و"دور كايم"، و"جب"، وغيرهم. ومن كتبه التي امتلأت بالباطل والزيف: كتاب (الشعر الجاهلي)، وقد أثبت الباحثون أنه منقول عن كتاب حول الشعر الجاهلي للمستشرق "مرجليوث". وممن ذكر هذا وأكد العلامة الأستاذ "محمود محمد شاكر"، لدرجة أنه أطلق على كتاب "طه حسين" المذكور: "حاشية طه حسين على بحث مرجليوث"^(٦٠).

ومن الآراء الخطيرة التي ذهب إليها "طه حسين" في هذا الكتاب:

ان العرب ((لم يكونوا على دين، ولم يكونوا جُهالاً ولا غلاظاً، ولم يكونوا في عزلة سياسية أو اقتصادية بالقياس إلى الأمم الأخرى .. كذلك يُمثلهم القرآن، وإذا كانوا أصحاب علم ودين وأصحاب ثروة وقوة وبأس، وأصحاب سياسة متصلة بالسياسة العامة - متأثرين بها مؤثرين فيها - فما أخلقهم أن يكونوا أمة متحضرة راقية لا أمة جاهلة همجية! وكيف يستطيع رجل عاقل أن يصدق أن القرآن ظهر في أمة جاهلة همجية))^(٦١).

ثانياً: علي عبدالرازق:

ومن الذين كانوا وسيلة لنشر سموم المستشرقين على شاكلة طه حسين: "علي عبدالرازق" صاحب كتاب ((الإسلام وأصول الحكم))، الذي زعم فيه أن الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة ولا علاقة لها بشؤون السياسة والحكم. ((لم يكن علي عبدالرازق إماماً مجتهداً .. وإنما كان قاضياً شرعياً تلقفته قوى التغريب، فاصطنعته تحت اسم (التجديد))^(٦٢)

ثالثاً: أحمد أمين:

جاء دور احمد امين ليضرب بأوفر سهم في هذا الميدان مرددا أكاذيب وأباطيل جولد تسيهر وغيره من المستشرقين حول الاحاديث النبوية وأسانيدها ورجالها، وهناك اعتراف من "أحمد أمين"، يُقر فيه بأنه أخذ المروجين لآراء المستشرقين في كتبه بدون أن ينسبها إليهم، بل يقدمها للناس على أنها من خالص أفكاره، وهو - لا شك - اعتراف له خطورته، حيث يجيب عن كثير من علامات الاستفهام حول آراء بعض الكاتبيين المحدثين - ومنهم: "أحمد أمين" - حول كثير من القضايا الإسلامية، كما يؤكد أن مدرسة تلاميذ المستشرقين

الذين يُسَخَّرُونَ في نشر آراء أساتذتهم، موجودة في حياتنا، وتشكّل رافداً من روافد الغزو الفكريّ الهدّام في المجتمعات الإسلامية^(٦٣).

رابعاً: محمود أبو رية:

وبعد هؤلاء تسلم اللواء أبو رية الذي ألف كتابه (أضواء على السنة المحمدية) فنشر فيه مزاعم واتهامات تجاوز الحد حول الحديث ، وأخذ يخلط بين كل ما قاله من سبقه من المستشرقين ومن سار على طريقهم من المسلمين^(٦٤). هذا؛ وكلام " طه حسين " المشار إليه مناقض لكلام رب العالمين؛ حيث يقول سبحانه: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة: ٢]، فالآية تفيد أن العرب كانوا أميين جاهلين في تيه وضلال، وهم لذلك كانوا في أمس الحاجة إلى بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم. إن إذاعة سموم المستشرقين وآرائهم على يد أسماء وطنية، وخاصة إذا كانت مسلمة عربية، أمرٌ في غاية الخطورة والضرر؛ حيث إن ورود الشبهات والأفكار الاستشراقية في غير كتب المستشرقين، وترديدها على ألسنة آخرين من بعض المسلمين، لا يثير الانزعاج أو القلق والحساسية لدى القارئ المسلم، مثل ما يثيرها لو كان يقرأ أو يعلم أن هذا الكلام لمستشرقٍ حاقِدٍ كاره للإسلام، ويجعل الشبهات والأباطيل تنتشر وتروج في تدليس وخداع، يُلبس الباطلَ ثوبَ الحق، ويجعله يتسلل إلى نفوس الناس دونما انزعاج، ويسري بينهم في نعومة وصمت، من غير أن ينتبهوا لحقيقته وأضراره. ولا شك أن هذه الوسيلة أشدُّ مكرًا وأكثرُ خداعًا وتمويهًا، وأخبثُ أثرًا وأسوأ نتيجةً، وأقوى سلاحًا، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل^(٦٥).

ولأن المستشرقين والمبشرين والمستعمرين وغيرهم من أعداء الإسلام، يُدركون خطورة هذه الوسيلة جيّداً - فإنهم قد استغلّوها شرّاً استغلال، ورزّنا بكثير من الصنائع الغربية في بلادنا، الذين صاروا كما جاء في الحديث النبويّ الشريف: (دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها)^(٦٦).

الخاتمة:

١- ان دراسات المستشرقين جاءت متأخرة وأول محاولة هي ما قام بها (جولد تسيهر) من خلال التشكيك في صحة الاحاديث ثم جاء بعده (شاخت) الذي زعم انه ليس هناك حديث واحد صحيح خصوصاً الفقهية.

٢- ان تدوين الحديث كان ثابتاً في زمن رسول الله (ص) وامتد مع الائمة المعصومين (عليهم السلام) وقد أعطوا عناية تامة في السند والمتن.

٣- أتضح ان نقد المستشرقين كان بمعزل عن منهج المحدثين والذي يتناول السند والمتن .

٤- أعتمد المستشرقون على روايات ضعيفة السند من روايات العامة فكان الاخفاق ظاهر فيهم لعدم اتّخاذهم المجال والحقل المناسب. وان الأدلة التي اعتمدوا عليها واهية ولا اساس لها من الصحة.

- ٥- قد أثمرت دراسات المستشرقين الى حد ما وبانت آثارها على بعض من تلقى دراسته في الجامعات الغربية.
- ٦- عرفت البلاد الإسلامية في العصر الحديث طائفة من المفكرين المستغربين، كانوا أبواقاً يرددون إفك المستشرقين والمبشرين، وضلالهم، وينفثون سمومهم الفكرية على أنها آراؤهم أنفسهم، زعموا أنهم توصلوا إليها بعد دراسة وبحث.
- ٧- هناك جملة من المستشرقين والكتاب الغربيين يعتبرون أن الأفكار الشيعية وبالأخص بعض الفرق المحسوبة على الشيعة انتحالا للأفكار الوثنية الإغريقية والفارسية القديمة.
- ٨ - ان الشيعة الامامية كانوا أدق من غيرهم في حفظ الحديث رغم الظروف الصعبة التي مروا بها لارتباطهم الوثيق بأئمتهم (عليهم السلام).
- ٩- عدم الإلمام بواقع فكر التشيع في المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية كافة.
- ١٠- يعتمد المستشرقون أحيانا على الاستقرار الناقص لبعض جوانب القضية المطروحة للبحث من مصادر ومراجع منتقاة، ثم عمموا نتائج هذا الاستقراء وأصدروا الأحكام بناء عليها وهي لا تفيد الا الظن.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- (١) بحوث في تاريخ السنة المشرفة، أكرم ضياء العمري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، سنة النشر، ١٤١٥.
- (٢) Alrawe مدونة علمية بنشر البحوث الطلابية.
- (٣) الاستشراق في السيرة النبوية، عبدالله محمد الأمين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٧.
- (٤) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٧.
- (٥) الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، السيد محمد الشاهد، الاجتهاد، ع ٢٢، السنة السادسة، ١٩٩٤م، ص ١٩١-٢١١.
- (٦) تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين، حاكم عبيسان المطيري، لجنة التأليف والتعريب والنشر، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠٢ م.
- (٧) التشيع والاستشراق، الدكتور عبد الجبار ناجي، المركز الاكاديمي للأبحاث في العراق.

- (٨) تهذيب الأحكام، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المعروف بالشيخ الطوسي، ت ٤٦٠هـ.
- (٩) دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الثانية ، ١٩٥٤ و ٢٠٠٥، تم تعريب بعض أجزائها وتنقيحها وصدرت في مصر في السنين وأعيد طبعها بالشارقة عام ١٩٩٨.
- (١٠) دراسات في الفقه الإسلامي المعاصر ، حيدر حب الله، نشر: دار الفقه الإسلامي المعاصر، الطبعة: الأولى، ٢٠١١م
- (١١) دور الاحداث التاريخية في بيان معتقدات اهل البيت(ع) مطهري مصطفى، بلد النشر، كربلاء، دار النشر، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية.
- (١٢) رجال الكشي ،محمد بن عمر الكشي، تحقيق، السيد احمد الحسيني ،الموضوع ، تراجم الرجال طبع ونشر : مؤسسة الاعلمي، لبنان ، بيروت.
- (١٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الكاتب مصطفى السباعي.
- (١٤) الشيعة في المشرق الإسلامي تنوير المذهب وتقنيك الخريطة، عاطف معتمد عبد الحميد.
- (١٥) الشيعة والتشيع في منظار المستشرقين، العتبة الحسينية، مركز الرصد العقائدي.
- (١٦) صحيح ،البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٣ شوال ١٩٤ هـ - ١ شوال ٢٥٦ هـ) .
- (١٧) صحيح سنن الترمذي، المؤلف، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى المتوفى، ٢٧٩هـ، تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر .
- (١٨) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (٨٢٢-٨٧٥)، تاريخ النشر: القرن التاسع.
- (١٩) صحيفة المنقّف، دراسات وبحوث، الحديث الشريف بين منع السلف وعبث الاستشراق، هلال آل فخر الدين
- (٢٠) في الأدب الجاهلي لطفه حسين وأثره في مسيرة البحث الأدبي خلال العصر الحديث، د. أحمد صلاح محمد.
- (٢١) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، الناشر، المكتبة الإسلامية /طهران .
- (٢٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الأفريقي، المتوفى: ٧١١هـ ، الناشر، دار صادر ،بيروت الطبعة، الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- (٢٣) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، الوفاة، ٢٧٤ المجموعة، مصادر الحديث الشيعية . قسم الفقه.
- (٢٤) المستشرقون ، نجيب العقيقي ،المتوفى: ١٤٠٢ هـ، الناشر، دار المعارف القاهرة - مصر الطبعة، الثالثة، ١٩٦٤ م.

- (٢٥) المستشرقون والحديث النبوي، الدكتور محمد بهاء الدين، دار النفاش، الطبعة الاولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- (٢٦) المستشرقون وحجية السنة النبوية الشريفة - مطالعة تحليلية نقدي. حيدر حب الله .
- (٢٧) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر - عطية، الناشر، مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية؛ سنة النشر: ٢٠٠٤ ...
- (٢٨) معنى "الحديث" لغة واصطلاحاً وما يتصل به، ، "www.alukah.net" .
- (٢٩) منع تدوين الحديث اسباب ونتائج، علي الشهرستاني.
- (٣٠) موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، الناشر، دار العلم للملايين ،الطبعة : الثالثة، سنة الطبع : ١٩٩٣.
- (٣١) مؤلفات في الميزان، أنور الجندي، هدية مجلة منار الإسلام (تصدرها وزارة الشؤون الإسلامية بالإمارات العربية المتحدة)، العدد الخامس، السنة الحادية عشرة.
- (٣٢) نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج ،ج١، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢.

الهوامش

- ١ - الدكتور علي شلوي مطوري، جامعة شهيد جمران، أهواز، dr.ali.matori@gmail.com
- ٢- ماجستير تفسير وعلوم قرآن ، جامعة المصطفى العالمية (ص) ، تدريسي في كلية الامام الكاظم (ع) للعلوم الاسلامية الجامعة/ أقسام ميسان ، قسم علوم القرآن والحديث.
- ٣ - انظر: صحيفة المثقف، دراسات وبحوث، الحديث الشريف بين منع السلف وعبث الاستشراق، هلال آل فخر الدين
- ٤- المعجم الوسيط، ج١، معجم اللغة العربية بالقاهرة، ٤٨٢. و لسان العرب مادة شرق.
- ٥ - رواه البخاري برقم ٤٩٤، ومسلم برقم ٢٦٤.
- ٦- الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، السيد محمد الشاهد، الاجتهاد، ع ٢٢.
- ٧ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، ص ١٨.
- ٨ - الاستشراق في السيرة النبوية، عبدالله محمد الأمين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٦.
- ٩ - المصدر نفسه، ص ١٦.
- ١٠ - انظر،: نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج ،ج١، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢٠.
- ١١- أنظر: لسان العرب مادة الحديث ٥٨١١١.
- ١٢- المصدر نفسه ٥٨٢١١.
- ١٣- في معنى "الحديث" لغة واصطلاحاً وما يتصل به، ، "www.alukah.net"، بتصرف،
- ١٤- صحيح الترمذي، ٥١٦٦٣، رقم ٣٧٨٨.
- ١٥- alrawe مدونة علمية بنشر البحوث الطلابية .
- ١٦ - المستشرقون وحجية السنة النبوية الشريفة ، مطالعة تحليلية نقدي، حيدر حب الله، ص ١٧.
- ١٧- المصدر نفسه، ص ١٧.
- ١٨ - المستشرقون وحجية السنة النبوية الشريفة ، مطالعة تحليلية نقدي، حيدر حب الله، ص ٢١.
- ١٩ - المصدر نفسه، ص ٢٤.
- ٢٠- أنظر ج ١ من كتاب دراسات في الفقه الإسلامي حيدر حب الله، ص ٤٧.
- ٢١ - المصدر السابق، ص ٢٨.
- ٢٢ - أنظر، ج١ من كتاب دراسات في الفقه الإسلامي حيدر حب الله، ص ٢٩، و مجلة المنهاج، ومجلة الكلمة والمستشرقون لنجيب العتيقي، وموسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي، و دائرة المعارف الإسلامية ١٢ ٢٣٨، مدخل: أصحاب. و دائرة المعارف الإسلامية ٢: ٢٦٤. دائرة المعارف الإسلامية (بالإنجليزية: Encyclopedia of Islam) موسوعة أكاديمية تعنى بكل

ما يتصل بالحضارة الإسلامية، سواء من الناحية الدينية أو الثقافية أو العلمية أو الأدبية أو السياسية أو الجغرافية على امتداد العصور، بما في ذلك العصر السابق للإسلام. [١][٢][٣] وقد تم إصدارها على طبعتين، الأولى بين ١٩١٣ و ١٩٣٨، والثانية ما بين ١٩٥٤ و ٢٠٠٥، ويتم إصدارها من قبل شركة بريل الهولندية. وقد ظهرت هذه الموسوعة بأكثر من لغة، أما بالنسبة للعربية فقد تم تعريب بعض أجزائها وتنقيحها وصدرت في مصر في الستينات وأعيد طبعها بالشارقة عام ١٩٩٨. وانطلق مشروعان آخران لدائرة المعارف الإسلامية أحدهما بتركيا وبسهر على إصدارها مركز وقف الديانة التركي والثاني بإيران حيث تصدر تحت عنوان دائرة المعارف الإسلامية الكبرى.

٢٣ - أنظر، المستشرقون وحجية السنة النبوية الشريفة، حيدر حب الله، ص ٧٣-٧٥.

٢٤ - تاريخ تدوين السنة، حاكم عيسى المطيري، ١١٣.

٢٥ - انظر: منع تدوين الحديث، أسباب ونتائج، علي الشهرستاني، ص ٥٥.

٢٦ - المصدر السابق، ص ٥٥.

٢٧ - أنظر، الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، alrawe، مدونة علمية بنشر البحوث الطلابية.

٢٨ - المصدر نفسه.

٢٩ - الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، alrawe، مدونة علمية بنشر البحوث الطلابية.

٣٠ - صحيح مسلم، باب التثبت بالحديث وحكم كتابة العلم، ج ٤، ص ٢٢٩٨.

٣١ - المصدر نفسه، ص ٢٢٩٨.

٣٢ - صحيح مسلم، باب التثبت بالحديث وحكم كتابة العلم، ج ٤، ص ٢٢٩٨.

٣٣ - أنظر، المستشرقون والحديث النبوي، محمد بهاء الدين، ص ٤٤-٤٦.

٣٤ - أنظر، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، العمري، والاستاذ نشأته وأهميته، الضاري، ١٨.

٣٥ - رجال الكشي، محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، ٤٨٩/٢.

٣٦ - المحاسن، الشيخ أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ٢٢١/١.

٣٧ - الكافي، للشيخ محمد بن يعقوب الكليني ١٧٠/١.

٣٨ - تهذيب الأحكام، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المعروف بالشيخ الطوسي ٣٠٢.

٣٩ - رجال الكشي، محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي ٤٨٩/٢.

٤٠ - الكافي، للشيخ محمد بن يعقوب الكليني ٦٩/١.

٤١ - كالأيدولوجيا الأموية، وعلى رأسها معاوية بن أبي سفيان واضع أسس مدرسة الدس والتزوير والوضع والتحرif.

٤٢ - الشيعة والتشيع في منظار المستشرقين، العتبة الحسينية، مركز الرصد العقائدي.

٤٣ - التشيع والاستشراق، عبد الجبار الناجي، ص ١٧.

٤٤ - ديفيد صمويل مارجليوث (١٨٥٨-١٩٤٠م) مستشرق إنكليزي، عمل قساً في كنيسة انكلترا، ثم أستاذاً لتدريس اللغة العربية في جامعة أكسفورد.

٤٥ - كارل بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦م).

٤٦ - اجانتس جولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م) مستشرق يهودي مجري.

٤٧ - بحسب بعض ما ورد من نظرية تاريخية حول ذلك.

٤٨ - الدولة الفاطمية، أو الخلافة الفاطمية، أو الدولة العبيدية، هي إحدى دول الخلافة الإسلامية، والوحيدة بين دول الخلافة التي اتخذت المذهب الشيعي (الإسماعيلي) مذهباً رسمياً لها، تأسست سنة (٩٠٩ م) وانتهت سنة (١١٧١م).

٤٩ - وليم الصوري (١١٣٠-١١٨٥م) مؤرخ صليبي، رئيس أساقفة (صور) و(القدس)، مستشار الملك (بلدوين الرابع) ملك مملكة بيت المقدس الصليبية، ولد في بيت المقدس من أسرة ذات أصول فرنسية أو إيطالية.

٥٠ - كان سبب تأكيده على هذا الادعاء هو وجوده في الكتب السننية التي أخذوا منها بدون تحليل أو تمحيص، علماً إن إثارة مثل هكذا مسائل (تفريقية) تفيد المستعمر الذي رفع شعاره المشهور (فرق تسد) وفق منهج (تلفيقي) بكل معنى الكلمة.

٥١ - يعقوب دي فيتري (١١٧٠-١٢٤٠ م) مؤرخ وقس ولاهوتي كنسي فرنسي الأصل.

٥٢ - أنظر، الشيعة في المشرق الإسلامي تنوير المذهب وتفكيك الخريطة، عاطف معتمد عبد الحميد.

٥٣ - ريكولدو ديمونتو كروس (١٢٤٣-١٣٢٠م) راهب دومنيكي إيطالي ومبشر شديد الخصومة على الإسلام، له كتاب (تفنيد آيات القرآن).

٥٤ - رايمون لول أو باللفظ الخاص الصحيح (رايموندوس لولوس) (١٢٣٠-١٣١٥م) فيلسوف كتالوني، انضم إلى رهبنة الفرنسكان، انكب على دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية قاصداً من وراء ذلك دعوة المسلمين إلى المسيحية، له كتاب (الفن الأكبر) الذي حاول فيه أن يدافع عن المسيحية ضد الإسلام، وانتقد فيه فلسفة ابن رشد.

٥٥- بطرس بسكوال (١٢٢٧-١٣٠٠م) لاهوتي اسباني، له كتاب (الفرقة المحمدية).

٥٦ - الفرق المغالية، والمهرطقة.

٥٧ - جوزيف آرثر دي غوبينو (١٨١٦- ١٨٨٢ م) أديب وديبلوماسي فرنسي اشتهر ببحوثه ودراساته حول الشرق، حيث بين الشعر والصحابة والرواية والفلسفة، وأبرز نتاجاته الفكرية (التفاوت بين الأجناس البشرية) والذي تأثر به أصحاب نظرية العنصرية الجرمانية، وله روايات ومذكرات عديدة منها (الثريا) و (قصص آسيوية) و (جدة وعدن ومسقط ثلاث سنوات في آسيا ١٨٥٥- ١٨٥٨ م) ترجمة: مسعود سعيد عمشوش. أقام في إيران مدة خمس سنوات وكان مسؤولاً في السفارة الفرنسية بمدينة طهران.

٥٨ الفرد فون كريمر (١٨٢٨-١٨٨٩م) مستشرق نمساوي، ألماني الجنسية، كان قنصلاً في مصر وبيروت.

٥٩- دور الأحداث التاريخية في بيان معتقدات أهل البيت، مصطفى مطهري، ص ٦٨ .

٦٠ - مؤلفات في الميزان، أنور الجندي، ص٣٧، هدية مجلة منار الإسلام (تصدرها وزارة الشؤون الإسلامية بالإمارات العربية المتحدة)، العدد الخامس، السنة الحادية عشرة.

٦١ الفكر الإسلامي الحديث، ص ١٨٤ نقلاً عن: الشعر الجاهلي، لطف حسين، ص ١٥.

٦٢ - أنظر المستشرقون والحديث النبوي، الدكتور محمد بهاء الدين، ص٢٦٢-٢٦٣

٦٣ - أنظر، المصدر السابق، ص٢٦٧-٢٦٨

٦٤ - أنظر، المستشرقون والحديث النبوي، الدكتور محمد بهاء الدين، ص٢٧٠-٢٧٣

٦٥ -. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ٢٣٨. وجدير بالذكر أن الدكتور مصطفى السباعي قد ردّ على شبهات " أحمد أمين " التي أثارها في كتابه (فجر الإسلام) حول السنة النبوية، وأفرد لذلك فصلاً خاصاً، وفنّدها بأسلوب علمي موضوعي، يُراجع: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص ٢٣٦ وما بعدها.

٦٦ - عن حُذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: ((قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ))، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: ((نَعَمْ، دُعَاءٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا))، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: ((هُمْ مِنْ جُلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِلِسَانِنَا))، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي أَنْ أُدْرِكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلَزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصُ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))؛ أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ١٧٨ / ٤، وفي كتاب الفتن، باب كيف يكون الأمر إذا لم تكن جماعة ٩٣ / ٨، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، مسلم بشرح النووي ٢٣٦ / ١٢ - ٢٣٧، رقم ١٨٤٧ ويراجع - في هذا الموضوع أيضاً - : الغزو الفكري والتحدي والمواجهة، للمؤلف، ص١٦١-١٦٩.